وجوه الكافرين يوم القيامة

في القرآن الكريم

– دراسة موضوعية–

إعداد

د .فاضل محمد كنبوع

كلية العلوم الإسلامية –الرمادي

Isl.fadelmk@uoanbar.edu.iq

Issn : 2071- 6028

المقدمة

الحمد لله العلي الأعلى الذي انزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجا ،فتح به أعينا عميا وآذانا صما وقلوبا غلفا،واخرج الناس به من الظلمات إلى النور ، حكم عليهم بالموت والجزاء ، والبعث إلى دار البقاء ، لتجزى كل نفس بما تسعى ، والصلاة والسلام على النبي المصطفى مبعوث الحق إلى الخلق الذي وضح للناس طريق الحق ودلهم على جادة الصواب وعلى آله وأصحابه الذين خاضوا الصعاب من اجل الفوز في يوم الحساب ومن تبعهم بإحسان إلى يوم المآب .

أما بعد:.....

فلا يزال القرآن الكريم يتحدى البلغاء والفصحاء والعلماء بأنه الكتاب المعجز المنزل على نبيه الأمي شاهدا بصدقه يحمل بين دفتيه برهان كماله ، فهو رسالة الله إلى الإنسانية كافة ولن تأتي بعده رسالة أخرى ، فلا غرو أن يأتي القرآن وافيا بجميع مطالب الحياة ، فقد تناول أحوال الناس في الدنيا ورسم لهم الطريق البين الواضح الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه في كافة أمور حياتهم ، فكان منهجا قويما سليما لمن أراد السير عليه. ولم يترك الحياة الآخرة مجهولة، بل بين كل تفاصيلها ،وكيف سيكون حال الناس في تلك الدار، حتى انه فصل أعضاء الجسد الواحد وما سيحصل لكل عضو من هذه الأعضاء، وقد خص الوجوه بآيات عدة لأنها اشرف أعضاء الإنسان وأكثرها أهمية ، دون أن يترك بقية الأعضاء وفي هذا دلالة على أن هدف القرآن الأول هو الإنسان الذي كرمه ربه عز وجل وخلقه في أحسن تقويم ، إذ خلقه بيده ونفخ فيه من روحه، وأمر ملائكته بالسجود له.

وقد بين الباري عز وجل حال أهل الأيمان وما سيكونون عليه في الدار الآخرة من بياض الوجوه وإشراقها واستنارتها ونعومتها ونظرها إلى الباري عز وجل، وقد تناولته في بحث مستقل.

كما بين أيضا حال المعرضين عن منهج الله وما سيكونون عليه يوم القيامة من سواد الوجوه وما تعلو تلك الوجوه من الغبرة والغم والذلة واللفح وهو مادة هذا البحث.

وقد تمثل منهجي في البحث باستقصاء الآيات التي تخص موضوعي وتوزيعها على وفق ما ترمي إليه من غاية،وقد نسبت الآيات إلى سورها ، وخرجت الأحاديث، ووضحت ما يحتاج إلى توضيح ، ووقفت هنا وهناك وبحسب ما يحتاج البحث من النقد والترجيح ، وقد أملى علي منهجي هذا أن تكون خطة بحثي بعد هذه المقدمة على النحو التالي:

المبحث الأول: ما يطرأ على الوجوه من اثر الأعمال في الدنيا،وفيه ثلاثة مطالب.

المطلب الأول: السواد

المطلب الثاني: الطمس

Issn : 2071- 6028

المطلب الثالث: الذلة

المبحث الثاني: ما تلاقيه الوجوه من العذاب وفيه ثلاثة مطالب.

المطلب الأول: الحشر على الوجوه

المطلب الثاني: لفح الوجوه

المطلب الثالث: التعب والنصب

أما الخاتمة فتضمنت أهم النتائج التي خرج بها البحث والتي أرجو الله أن ينفع بها .

وختاما فاني قد بذلت وسعي بعد الاستعانة بالله إذ هو ميدان الخوض فيه خوض في بحر متلاطم ، وقدمت ما يكشف الصورة ويوضح الحقيقة لمعالم هذا الموضوع ،وهذا هو مبلغ علمي فأن أصبت فلله الحمد وأن أخطأت فمن نفسي ومن الشيطان واستغفر الله العظيم.

الباحث

المبحث الأول

ما يطرأ على الوجوه من اثر الذنوب

المطلب الأول :السواد

القرآن كله دروس وعبر لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد، وأما الذين اعرضوا عن منهج الله وكانوا من المستهزئين بدينه وكتابه فان عاقبتهم ستكون سواد الوجوه وقد اغبرت وجوههم من الغم وأصبحت كالحة وعلتها الكآبة كأنها قطعا من الليل مظلما،إذ تغيرت معالم تلك الوجوه التي كانت في الحياة الدنيا تتنعم بنعيمها دون أن تعمل لما يرضي خالقها وباريها، وسوف يتبين ذلك من خلال البحث.

أولا:–السواد في اللغة والاصطلاح

السواد في اللغة:عكس البياض وهو لون معروف والجمع سودويصغر إلى أسيد والسواد العدد الأكثر ،والأسودان الحية والعقرب، إذ ورد في الحديث عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ انَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَمَرَ بِقَتْلِ الْأَسْوَدَيْنِ فِي الصَّلَاةِ الْعَقْرَبِ وَالْحَيَّةِ)([1]).

---

١ – المستدرك على الصحيحين ، الحاكم ، كتاب الصلاة ، باب قتل الحية والعقرب ، رقم الحديث(٨٩٥) ، (٤٥١/٢)؛ سنن النسائي كتاب الصلاة ، باب قتل الحية والعقرب ، رقم الحديث(٣٥٥)، (١٤٧/٢)؛صحيح ابن حبان،كتاب الإمامة والجماعة ، باب الحدث في الصلاة ، رقم الحديث (٢٣٩٢)،(١٧٥/١٠)؛ سنن ابن ماجة، كتاب إقامة الصلاة، باب قتل الأسودين في الصلاة،رقم الحديث(١٢٣٥)،(١١٣/٤)، قال الحاكم صحيح ولم يخرجاه.

Issn : 2071- 6028

والأسودان :التمر والماء، إذ ورد في الحديث عَنْ مُعَاوِيَةَ بن قُرَّةَ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ:"عَبَرْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بُرْهَةً مِنْ دَهْرِنَا، وَمَا لَنَا طَعَامٌ إِلا الأَسْوَدَانِ: التَّمْرُ، وَالْمَاءُ)([1]).

والأغلب انه من سواد اللون([2]).

السواد في الاصطلاح:هو الفقر الحقيقي والرجوع إلى العدم الأصلي، أي أن صاحبه لا شيء لديه من الأعمال الصالحة فلا يكون له وزن ويكون من المفلسين يوم القيامة([3]).

وقيل هو عبارة عن ارباد وإظلام الوجوه بغم العذاب ويحتمل أن يكون ذلك تسويدا ينزله الله بهم على وجه التشويه والتخذيل بهم([4]).

وخلاصة ذلك ان السواد الحاصل في وجوه الكافرين هو من اثر العذاب والظلمة بما أصابها بغم العذاب، وظهر عليها ذلك السواد من آثار الذل والحسرة على ما فرطت في جنب الله.

ثانيا:–السواد في القرآن الكريم:

١)قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ ۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ فَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴾([5]).

الآية بيان لحال الناس يوم القيامة وما يكون عليه أهل الإيمان من النعيم المقيم في جنة النعيم من البياض والإشراق والاستنارة، وما يكون عليه أهل الباطل من سواد الوجوه والظلمة والحسرة والغم جزاء عملهم الباطل الذي عملوه في الحياة الدنيا ، وتعد هذه الآية مشهدا تصويريا عظيما يتمثل في وجوه قد كمدت من الحزن واغبرت من الغم واسودت من الكآبة ولم يتوقف الأمر على ذلك بل وراءه اللذع والتبكيت والتأنيب ((أَكَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ)) فساد الظلام وسودت الوجوه ، وهذه أقبح طلعة لمن كذب رسول الله صلى اله عليه وسلم ولم يؤمن به فتراه منكس الرأس عند ربه إذ قَالَ تَعَالَىٰ:﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلْمُجْرِمُونَ نَاكِسُوا۟ رُءُوسِهِمْ عِندَ ﴾([6]) ، ولا يجد لنفسه ما يخلصه من عذاب الله ،

١– المعجم الكبير ،الطبراني(١٣/٣٥٤)؛ وينظر المستدرك على الصحيحين،الحاكم، باب غزونا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم،رقم الحديث(٧١٧٦)،١٦/٤٠١).قال الحاكم هذا حديث صحيح ولم يخرجاه.

٢– ينظر لسان العرب،ابن منظور(١٢/٣٣٣)؛ المصباح المنير ،الفيومي(٣١٥)؛ تاج العروس في جواهر القاموس،السيد محمد مرتضى الزبيدي(٨/٢٢٦)؛ تهذيب اللغة،أبو منصور محمد بن احمد الأزهري(١٣/٥٣).

٣– ينظر التعريفات،الشريف الجرجاني(٨٨)؛ التوقيف على مهمات التعاريف ،محمد عبد الرؤوف المناوي(١/٤١٨).

٤– ينظر المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ابن عطية الأندلسي(٣/٢٥٨)

٥– آل عمران/١٠٦

٦– السجدة/١١٢

Issn : 2071- 6028

قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَمَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِ ۖ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُمْ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِهِۦ ۖ ﴾(١) ، فتحصل لهم الذلة العظيمة مع السواد المظلم ، قال تَعَالَىٰ:﴿ كَأَنَّمَآ أُغْشِيَتْ وُجُوهُهُمْ قِطَعًا مِّنَ ٱلَّيْلِ مُظْلِمًا ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴾(٢). ووصف الليل وهو زمن الظلمة بكونه مظلما لإفادة تمكن الوصف منه بظلام الليل،فالمراد من الليل الشديد الإظلام الذي احتجبت نجومه وتمكنت ظلمته ،وشبهت قترة وجوههم بظلمة الليل(٣).

وهذا السواد حاصل في وجوه الكافرين وذلك لأن اللون حقيقة فيها ولا دليل يوجب ترك الحقيقة والحكمة في ذلك أن ظهور السواد في الوجه سبب لمزيد من الغم والحسرة،ويؤيده كثير من الأدلة في كتاب الله العزيز ، منها قوله تَعَالَىٰ:﴿ فَلَمَّا رَأَوْهُ زُلْفَةً سِيٓـَٔتْ وُجُوهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَقِيلَ هَٰذَا ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تَدَّعُونَ ﴾(٤) . فالرؤية هنا رؤية بصرية ، فلما رأوا العذاب قريبا منهم وعاينوا أهوال القيامة ظهرت على وجوههم آثار الاستياء فعلتها الكآبة والغم والحزن وغشيها الانكسار فأصبح الكافر وكأنه يساق إلى القتل ،وقد حصل له هذا الأمر دون توقع منه ودون تمهيد، حتى علت الوجوه الظلمة علوا ظاهرا يراه كل احد بحيث يصبح الوجه كالحممة –الفحمة–(٥) كما أن الحال واضح حتى في الدار الدنيا فعندما يحصل موقف يتطلب المشقة فان صاحب ذلك الموقف يحصل له تغير في كل البنية الجسمانية بما فيها اللون والله اعلم...

٢)قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ تَرَى ٱلَّذِينَ كَذَبُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ ۚ أَلَيْسَ فِى جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ ﴾(٦).

المشهور أن الكذب هو الإخبار عن الشيء على خلاف ما هو عليه ، ومنهم من قال هذا القدر لا يكون كذباً بل الشرط في كونه كذباً أن يقصد الإتيان بخبر يخالف المخبر عنه فيجب أن يحمل الكذب المذكور في الآية على ما إذا قصد الإخبار عن الشيء ، مع أنه يعلم أنه كاذب فيما يقول،قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلْوُۥنَ أَلْسِنَتَهُم بِٱلْكِتَٰبِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمَا هُوَ مِنَ

١– الإسراء/٩٧

٢– يونس/٢٧

٣– ينظر التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن عاشور(٤٤/٧)

٤– الملك/٢٧

٥– ينظر التفسير الكبير ،الرازي(٧٥/٣٠)؛ الجامع لأحكام القرآن ، القرطبي (١٤٤/١٨)؛في ظلال القرآن ،سيد قطب (٣٦٤٧/٦).

٦– الزمر/٦٠.

Issn : 2071- 6028

ٱلۡكِتَٰبِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنۡ عِندِ ٱللَّهِ وَمَا هُوَ مِنۡ عِندِ ٱللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلۡكَذِبَ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ ﴾(١)، وإذا كان كذلك فإلحاق مثل هذا الوعيد بهذا الجاهل الكذاب الضال المضل يكون مناسباً(٢)،وكذلك الذين جعلوا لله ما يستحيل عليه من الولد والشريك وجوزوا ما يمتنع عليه من رضاه فان مصيرهم الأخير سواد الوجه من الخزي ومن لفح الجحيم، وهؤلاء هم المتكبرون في هذه الأرض، الذين لم يلبوا هاتف النجاة فهم اليوم في خزي تسود له الوجوه ويداسون بالأقدام فيكون مأواهم ومقامهم جهنم ويشربون من عصارة أهل النار(٣) ، ويدخل في الذين كذبوا على الله، كل من نسب إلى الله صفة لا دليل له فيها ، ومن شرع شيئا فزعم أن الله شرعه متعمدا قاصدا ترويجه للقبول بدون دليل، ولا يوجد اظلم ممن افترى على الله الكذب بجعل الشركاء له وهو أعظم الظلم،قَالَ تَعَالَى:﴿ فَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّن كَذَبَ عَلَى ٱللَّهِ وَكَذَّبَ بِٱلصِّدۡقِ إِذۡ جَآءَهُۥٓۚ أَلَيۡسَ فِي جَهَنَّمَ مَثۡوٗى لِّلۡكَٰفِرِينَ ﴾(٤) فيدخل أهل الضلال الذين اختلقوا صفات لله أو نسبوا إليه تشريعا،ولا يدخل أهل الاجتهاد المخطئون في الأدلة إذا استفرغوا الجهود وكذلك من لم يقصد إلا الحق والصدق لكنه أخطأ فيبعد إلحاق هذا الوعيد به(٥).

٣)قَالَ تَعَالَى:﴿ وَوُجُوهٞ يَوۡمَئِذٍ عَلَيۡهَا غَبَرَةٞ ٤٠ تَرۡهَقُهَا قَتَرَةٌ ٤١ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡكَفَرَةُ ٱلۡفَجَرَةُ ﴾(٦)

بعد بيان نعم الله تعالى في نفس الإنسان وفي الآفاق، وإقامة الأدلة والبراهين بها على كمال قدرة الله عز وجل على البعث وكل شيء، أبان الله تعالى بعض أهوال القيامة وأحوالها التي تملأ النفس خوفا ورهبة، ليكون ذلك مدعاة إلى التأمل في الدلائل والإيمان بها والإعراض عن الكفر، وإلى ترك التكبر على الناس، وإلى إظهار التواضع إلى كل أحد.

والناس في ذلك الموقف فريقان: سعداء وأشقياء، والفريق الأول ضاحك مستبشر: وهو من آمن بالله ورسله وأطاع ما أمر الله به. والفريق الثاني عابس متكدر، تعلو وجهه الغبرة وهي ما يصيب الإنسان من الغبار فيحصل السواد والظلمة ، فترهقه عجلة الهلاك والقترة بسواد كالدخان

١- آل عمران/٧٨

٢- ينظر التفسير الكبير(٢٧٧/١٣).

٣- ينظر تفسير القرآن الجليل(مدارك التنزيل وحقائق التأويل)؛ النسفي(٦٠/٤)؛ محاسن التأويل،محمد جمال الدين القاسمي(٢١٥/١٤)؛ في ظلال القرآن(٣٥٩/٥).

٤-الزمر/٣٢.

٥- ينظر التحرير والتنوير(٥٠/٢٤)ز

٦- عبس/٤٠-٤٢.

Issn : 2071- 6028

، ولا يرى أوحش من اجتماع الغبرة والسواد في الوجه ،وكأن الله تعالى جمع في وجوههم بين السواد والغبرة ، كما جمعوا بين الكفر والفجور إذ كفروا بنعمة الله وكذبوا بآيات الله، وتجرأوا على محارمه،فوجوههم سوداء مظلمة مدلهمة ، قد أيست من كل خير وعرفت شقاءها وهلاكها([1]).

وقد ورد في الحديث عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُعَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: يَلْقَى إِبْرَاهِيمُ أَبَاهُ آزَرَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَعَلَى وَجْهِ آزَرَ قَتَرَةٌ وَغَبَرَةٌ فَيَقُولُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ أَلَمْ أَقُلْ لَكَ لَا تَعْصِنِي فَيَقُولُ أَبُوهُ فَالْيَوْمَ لَا أَعْصِيكَ فَيَقُولُ إِبْرَاهِيمُ يَا رَبِّ إِنَّكَ وَعَدْتَنِي أَنْ لَا تُخْزِيَنِي يَوْمَ يُبْعَثُونَ فَأَيُّ خِزْيٍ أَخْزَى مِنْ أَبِي الْأَبْعَدِ فَيَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى إِنِّي حَرَّمْتُ الْجَنَّةَ عَلَى الْكَافِرِينَ ثُمَّ يُقَالُ يَا إِبْرَاهِيمُ مَا تَحْتَ رِجْلَيْكَ فَيَنْظُرُ فَإِذَا هُوَ بِذِيخٍ مُلْتَطِخٍ([2]) فَيُؤْخَذُ بِقَوَائِمِهِ فَيُلْقَى فِي النَّارِ)([3])، ولعل المراد هنا ما يغشى الوجه من شدة الكرب وما يعلوه من ظلمة الكفر ،فالمراد بالغبرة: الغبار من التراب،والغترة: السواد الكائن من الكآبة([4]).

ثالثا : سبب اسوداد الوجوه

هناك أسباب عدة لسواد الوجوه في يوم تبيض فيه وجوه وتسود وجوه منها([5])

١–الكفر بعد الإيمان؛قال تعالى:﴿ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱسۡوَدَّتۡ وُجُوهُهُمۡ أَكَفَرۡتُم بَعۡدَ إِيمَٰنِكُمۡ فَذُوقُواْ ٱلۡعَذَابَ بِمَا كُنتُمۡ تَكۡفُرُونَ ﴾([6]).

٢–الكذب والكبر على الله إذقال تعالى:﴿ وَيَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ تَرَى ٱلَّذِينَ كَذَبُواْ عَلَى ٱللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسۡوَدَّةٌۚ أَلَيۡسَ فِي جَهَنَّمَ مَثۡوٗى لِّلۡمُتَكَبِّرِينَ ﴾([7]).

٣–اكتساب السيئات كما في قوله تعالى:﴿ وَٱلَّذِينَ كَسَبُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ جَزَآءُ سَيِّئَةٖ بِمِثۡلِهَا وَتَرۡهَقُهُمۡ ذِلَّةٞۖ مَّا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِنۡ عَاصِمٖۖ كَأَنَّمَآ أُغۡشِيَتۡ وُجُوهُهُمۡ قِطَعٗا مِّنَ ٱلَّيۡلِ مُظۡلِمًاۚ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴾([8]).

١– ينظر التفسير الكبير(٣٧٠/١٦)؛التفسير المنير، د.وهبة الزحيلي (٧٤/٣٠).

٢– ذِيخٍمُتَلَطِّخ : (ذكر الضباع الكثير الشعر)،الصحاح في اللغة،الجوهري،مادة ذيخ،(٢٣١/١).

٣– صحيح البخاري،كتاب تفسير القرآن ،باب قوله تعالى واتخذ الله، رقم الحديث(٣١٧٢).

٤– فتح الباري شرح صحيح البخاري ،ابن حجر،كتاب تفسير القرآن ،باب قوله(ولا تخزني يوم يبعثون)، رقم الحديث(٤٣٩٦) ، (٢٨٧/١٣).

٥– ينظر البحر المحيط ،لأبي حيان الأندلسي(٢٨/٣)؛ أضواء البيان،الشنقيطي(٢٠٦/١).

٦– آل عمران/١٠٦.

٧– الزمر/٦٠.

٨– يونس/٢٧.

Issn : 2071- 6028

والحق أن هذه الأسباب شيء واحد عبر عنه بعبارات مختلفة وهو الكفر بالله تعالى ،فكل من تجاوز حدود الله جاحدا أو خالف ما جاء به احد رسله يعد من الذين يصيبهم اسوداد الوجوه والله أعلم.

المطلب الثاني: الطمس

لقد خلق الله الإنسان بكل جوارحه ليكون عبدا لله ويستعمل هذه الجوارح لعبادته سبحانه، ولكن العصاة استخدموها في غير طاعة الله، فستكون العاقبة إن الله تعالى يمحو تلك الجوارح كونها استخدمت لغير مرضاته وطاعته، وسوف يتبين ذلك من خلال المحاور الآتية:-

أولا:- الطمس في اللغة والاصطلاح

الطمس في اللغة:- الطاء والميم والسين أصلٌ يدلُّ على محوِ الشيء ومسحِهِ. يقال طَمَسْتُ الخَطَّ، وطَمست الأثرَ. والطُموسُ: الدروسُ والامِّحاءُ ، وقد طَمَسَ الطريقُ يَطْمُسُ ويَطْمِسُ وطَمَسْتُهُ طَمْساً. وانْطَمَسَ الشيء وتَطَمَّسَ،أي أمحى ودَرَس([1]).

الطمس في الاصطلاح:- جاء الطمس بمعان عدة منها:

١- (ذهاب رسوم السيار بالكلية([2]).

٢- إزالة الأثر بالمحو([3]).

٣-استئصال اثر الشيء ومحو آثار الإنسانية بإزالة ما في الوجوه من العين والأنف فتصير كالاقفاء([4])، قال تعَالَىٰ:﴿ فَإِذَا ٱلنُّجُومُ طُمِسَتۡ ﴾([5]).

٤- الهلاك ، كقوله تعَالَىٰ:﴿ رَبَّنَا ٱطۡمِسۡ عَلَىٰٓ أَمۡوَٰلِهِمۡ ﴾([6])،أي(أهلكها)([7]).

والحق أن كل هذه الأقوال تؤدي إلى نتيجة واحدة وهي أن الطمس هو تغيير ملامح الهيئة سواء كان بالمحو أم بالقلب بتحول الوجوه للاقفاء والله اعلم.

ثانيا:- الطمس في القرآن الكريم

١- ينظر كتاب العين،الفراهيدي(٥٦/٢)؛ لسان العرب(١٢٦/٦)؛ المصباح المنير(٣٧٨/٢)؛ القاموس المحيط(٤٥١/٢)؛ تاج العروس(٣٩٩٩) ؛ المنجد في اللغة والعلوم(١٧١).

٢- التعريفات(١٠١)

٣- المفردات في غريب القرآن(٣٠٧)

٤- ينظر جامع البيان ،الطبري(٣٤٣/٨)

٥- المرسلات/٨

٦- يونس/٨٨

٧- الجامع لأحكام القرآن (١٥٨/٥)؛ روح المعاني، الالوسي(٧٥/٤)؛ التفسير المنير(١٠١/٥)

Issn : 2071- 6028

١) قَالَ تَعَالَى:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ ءَامِنُواْ بِمَا نَزَّلۡنَا مُصَدِّقٗا لِّمَا مَعَكُم مِّن قَبۡلِ أَن نَّطۡمِسَ وُجُوهٗا فَنَرُدَّهَا عَلَىٰٓ أَدۡبَارِهَآ ﴾(١).

ورد في أسباب نزول هذه الآية عن ابن عباس رضي الله عنهما قال:كلم رسول الله صلى الله عليه وسلم رؤساء من أحبار اليهود منهم عبد الله بن صوريا والأعور وكعب بن أسد فقل لهم:يا معشر يهود اتقوا الله واسلموا فو الله إنكم لتعلمون أن الذي جئتكم به الحق ،فقالوا:ما نعرف ذلك يا محمد ، وجحدوا ما عرفوا وأصروا على الكفر ، فانزل الله فيهم الآية(٢).

فلما ذكر شيئا من أحوال الكفار في الآخرة وأنهم يتمنون لو تسوى بهم الأرض ولا يكتمون الله حديثا ، أعقبه بذكر ما عليه اليهود من الكفر والجحود والتكذيب بآيات الله ، وبعد أن ذكر مصير الذين لا يؤمنون بما انزل من الشرائع وما يحل بهم ذكر لنا شيئا من عقائدهم الزائفة وما أعد لهم من العذاب المقيم في دار الجحيم(٣).

أن الخطاب في هذه الآية خاص بالذين أوتوا الكتاب،وهم من كان عالما بجميع ما في التوراة ، ومن كان كذلك كان عالما بالدلائل الدالة على نبوة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ، بدليل قوله تعالى ((مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُم)) أي مصدقا لما موجود في التوراة لان التوراة كانت مشتملة على هذه الدلائل ، وإذا كان العلم حاصلا كان الكفر محض العناد، فلا جرم أن يأمرهم بالإيمان بمحمد صلى الله عليه وسلم وان يقرن الوعيد الشديد بذلك، فهذا الأمر مفيد للمسارعة إلى الامتثال به لما فيه من الوعيد الوارد على ابلغ وجه ،اذ كان أول إسلام كَعْبِ الأَحْبَارِ؛ أَنَّه مَرَّ برَجُلٍ من الليل ، وهو يقرأُ هذه الآية ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ ءَامِنُواْ بِمَا نَزَّلۡنَا ﴾، فوضَعَ كَفَّيْهِ على وَجْهه ، وَرَجَعَ القهقرى إلى بيته ، فأسْلَمَ مكَانَهُ ، وقال : واللَّهِ ، لَقَدْ خِفْتُ أَلاَّ أَبْلُغَ بَيْتِي ، حتى يُطْمَسَ وجهي(٤)، فالمراد آمنوا من قبل أن نمحو ما خطه الباري عز وجل بقلم القدرة من صحائف الوجوه من الحاجب والعين والأنف والأذن والفم فنجعلها كخف البعير أو حافر الدابة(٥).

١- النساء/٤٧.

٢- ينظر جامع البيان (٤٤٦/٨) ؛ لباب النقول في أسباب النزول، السيوطي(٦٤).

٣- ينظر صفوة التفاسير، محمد علي الصابوني(٢٧٩/١).

٤- الجواهر الحسان في تفسير القرآن، أبو زيد عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف الثعالبي(٣١٦/١)؛ معالم التنزيل في تفسير القرآن ،محيي السنة ،أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي(٢٣١/٢).

٥- إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم،أبو السعود العمادي(٩٢/٢).

Issn : 2071- 6028

وهذا أبلغ في العقوبة والنكال، وهذا مثل ضربه الله لهم في صرفهم عن الحق وردهم إلى الباطل ورجوعهم عن المحجة البيضاء إلى سبل الضلالة يهرعون ويمشون القهقرى على أدبارهم، إن هذا مثل سوء ضربه الله لهم في ضلالهم ومنعهم عن الهدى ([1]).

وقد يكون المراد من طمس الوجوه بان يسلط الله عليهم ما يفسد به محياهم، فإذا أزيلت معالم تلك الوجوه ومحيت كان ذلك طمسا فان قدرة الله صالحة لذلك،

وهذا التهديد بمعناه المادي الذي يفقدهم آدميتهم ويردهم يمشون على أدبارهم ، أو يصيبهم اللعن الذي أصاب أصحاب السبت وهو مسخهم قردة وخنازير ويعد عقوبة لما فيه من التشويه في الخلقة لأن ذلك يعظم الغم والحسرة ([2]).

كما إن الآية تعد سببا لدخول كثير من اليهود إلى الإسلام ومنهم عبد الله بن سلام وكعب الأحبار وغيرهم.

والمتمعن في الآية يرى بان المخاطبين بهذه الآية لهم نوعان من العذاب، احدهما عقيب الآخر :-

الأول: هو نكس الوجوه إلى الخلف والأقفاء إلى الأمام.

والأخر: هو القلب والتغيير ([3]).

المطلب الثالث: الذلة

لقد خلق الله عز وجل الإنسان فيأحسنتقويم وكرمه على الخلائق واعزه بالدين ولكنه اعرض عن الحق ولم يؤمنإلا من هدى الله ،وكانت النتيجة أن الله وعد هؤلاء العصاة من بني آدم بأن تصيبهم الذلة والهوان جزاءا على ذلك العصيان وسيتبين ذلك من خلال البحث...

أولا":الذل في اللغة والاصطلاح

الذل في اللغة :الذُّلُّ نقيض العِزِّ ذلَّ يذِلُّ ذُلاًّ وذِلَّة وذَلالة ومَذَلَّة فهو ذلِيل بَيِّن الذُّلِّ والمَذَلَّة من قوم أَذِلاّء وأَذِلَّة وذِلال وأَذَلَّ الرجلُ صار أَصحابه أَذِلاَّءَ وأَذَلَّه وجده ذَلِيلاً واسْتَذَلُّوه رأَوه ذَلِيلاً ويُجْمَع الذَّلِيل من الناس أَذِلَّة وذُلاَّناً والذُّلُّ الخِسَّة وأَذَلَّه واسْتَذَلَّه كله بمعنى واحد وتَذَلَّل له أَي خَضَعَ وفي أَسماء الله تعالى المُذِلُّ هو الذي يُلْحِق الذُّلَّ بمن يشاء من عباده وينفي عنه أَنواع العز جميعها ،والذِّلُّ بالكسر اللِّين وهو ضد الصعوبة والذُّلُّ والذِّلُّ ضد الصعوبة ذَلَّ يَذِلُّ ذُلاًّ وذِلاًّ

١- ينظر تفسير القرآن العظيم(٢/٣٢٤).

٢- ينظر التفسير الكبير(١٠/١٢٤-١٢٥).

٣- ينظر الكشاف، الزمخشري(١/٥٣١).

Issn : 2071- 6028

فهو ذَلُولٌ يكون في الإنسان والدابةوالذِّلُّ الرِّفْقُ والرحمة ، قَالَ تَعَالَى:﴿ وَٱخۡفِضۡ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحۡمَةِ ﴾وفي صفة المؤمنين قَالَ تَعَالَى:﴿ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴾(١) ،معنى قوله أَذِلَّة على المؤمنين رُحَماء رُفَقاء على المؤمنين أَعِزَّة على الكافرين غِلاظ شِداد على الكافرين وقال الزجاج معنى أَذِلَّة على المؤمنين أَي جانبهم لَيِّنٌ على المؤمنين ليس أَنهم أَذِلاَّء مُهانون (٢).

وخلاصة ذلكإن الذل هو ما كان نقيض العز ويكون صاحبه ضعيفا مهانا مقهورا لا حجة له والله أعلم...

الذل في الاصطلاح:–هو ما كان عن قهر فيقال :(ذل والذل ما كان بعد تصعب ،والذل متى كان من جهة الإنسان نفسه لنفسه فمحمود نحو قولهتَعَالَى:﴿ وَلَقَدۡ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ بِبَدۡرٖ وَأَنتُمۡ أَذِلَّةٞ ﴾(٣)،أي قلة،

وقولهتَعَالَى:﴿ فَٱسۡلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلٗا ﴾(٤)،أي منقادة غير ذليلة)(٥)

وقيل الذل هو انكسار النفس والانقياد إلى الغير طوعا أو كرها(٦)، وهو اشمل لمعنى الذل والله أعلم.

ثانيا:–الذل في القرآن الكريم:

١)قَالَ تَعَالَى:﴿ وَٱلَّذِينَ كَسَبُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ جَزَآءُ سَيِّئَةٖ بِمِثۡلِهَا وَتَرۡهَقُهُمۡ ذِلَّةٞۖ مَّا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِنۡ عَاصِمٖۖ كَأَنَّمَآ أُغۡشِيَتۡ وُجُوهُهُمۡ قِطَعٗا مِّنَ ٱلَّيۡلِ مُظۡلِمًاۚ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴾(٧).

لما ذكر أصحاب الجنة ذكر أصحاب النار، فذكر أن بضاعتهم التي اكتسبوها في الدنيا هي الأعمال السيئة المسخطة لله، من أنواع الكفر والتكذيب، وأصناف المعاصي، فجزاؤهم سيئة مثلها أي: جزاء يسوؤهم بحسب ما عملوا من السيئات على اختلاف أحوالهم.

١– المائدة/٥٤.

٢– ينظر لسان العرب(٢٥٦/١١)؛ القاموس المحيط(١٢٩٤/١)؛ المنجد(٢٣٧)؛ المصباح المنير(٢٢٥).

٣– آل عمران/١٢٩.

٤– النحل/٦٩.

٥– مفردات غريب القرآن(١٨٠).

٦– ينظر سلسة المنهاج ،هاشم محمد علي(١٤٩/٤).

٧– يونس/٢٧.

Issn : 2071- 6028

{ وَتَرْهَقُهُمْ } أي: تغشاهم { ذِلَّةٌ } في قلوبهم وخوف من عذاب الله، لا يدفعه عنهم دافع ولا يعصمهم منه عاصم، وتسري تلك الذلة الباطنة إلى ظاهرهم([1]).

وتعد هذه الآية وعيدا لأهل السيئات وأهل الشرك بأنهم يجزون بالسيئة سيئة مثلها عدلا منه تعالى ، فأخبر بأن وجوه هؤلاء مسودة وقد أغشيت أي ألبست وجوههم من فرط السواد والظلمة قطعا من ظلام الليل، وغشيهم الهوان والذل والشدة ثم يدخلون إلى نار جهنم فهم فيها خالدون ،وَتَرْهَقُهُم أي: تعتريهم وتعلوهم ذلة من معاصيهم وخوفهم منها، كما قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَتَرَىٰهُمْ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا خَٰشِعِينَ مِنَ ٱلذُّلِّ يَنظُرُونَ مِن طَرْفٍ خَفِيٍّ ﴾([2]).

٢):-قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَعَنَتِ ٱلْوُجُوهُ لِلْحَيِّ ٱلْقَيُّومِ ۖ وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا ﴾([3]).

تعد هذه الآية من الآيات التي تبين أن وجوه الظالمين تذل وتستسلم وتخضع عندما يكون الملك لله تعالى حتى يكون الإنسان كالأسير، فبعد النفخ في الصور يحشر الناس إلى عرصات يوم القيامة وهم خائفون أذلاء خاشعون وقد بدلت الأرض غير الأرض والسماوات وبرز الناس لله الواحد القهار وانشغل كل بنفسه مصداقا لقولهتَعَالَىٰ:﴿ لِكُلِّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ ﴾([4]) ،فتستسلم الخلائق ويصيبها الذل ويكون الناس كالاسارى بين يدي خالقهم ، فيخسر الظالم لأنه يحشر مفلسا وخائفا إذ أن الجزاء من جنس العمل، وكما أنه كان يزرع الخوف في القلوب يحشر يوم القيامة خائفا مصداقا لقوله تَعَالَىٰ:﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ غَٰفِلًا عَمَّا يَعْمَلُ ٱلظَّٰلِمُونَ ۚ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ ٱلْأَبْصَٰرُ ﴿٤٣﴾ مُهْطِعِينَ مُقْنِعِى رُءُوسِهِمْ لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ ۖ وَأَفْـِٔدَتُهُمْ هَوَآءٌ ﴾([5]).

الْمُرَادُ بِالْوُجُوهِ الَّتِي ذَلَّتْ وَخَشَعَتْ لِلْحَيِّ الْقَيُّومِ : وُجُوهُ الْعُصَاةِ خَاصَّةً وَذَلِكَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ : وَأَسْنَدَ الذُّلَّ ، وَالْخُشُوعَ لِوُجُوهِهِمْ ، لِأَنَّ الْوَجْهَ تَظْهَرُ فِيهِ آثَارُ الذُّلِّ ، وَالْخُشُوعِ . وَمِمَّا يَدُلُّ عَلَى هَذَا الْمَعْنَى مِنَ الْآيَاتِ الْقُرْآنِيَّةِ قَوْلُهُ تَعَالَى :﴿ فَلَمَّا رَأَوْهُ زُلْفَةً سِيٓـَٔتْ وُجُوهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَقِيلَ هَٰذَا ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تَدَّعُونَ ﴾([6])،أي ذلت وخضعت واستسلمت جميع النفوس والخلائق لجبارها الحي الذي لا يموت، القيوم الذي لا ينام، وهو قيم على كل شيء يدبره ويحفظه، أي قائم بتدبير شؤون خلقه

١- ينظر تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان(٣٦٢)
٢- الشورى/٤٥.
٣- طه/١١١
٤- عبس/٣٧.
٥- إبراهيم/٣٢-٣٣.
٦- الملك/٢٧.

Issn : 2071- 6028

وتصريف أمورهم، وقد خسر من حمل شيئا من الظلم والشرك. وخص الوجوه بالذكر لأن الخضوع بها يبين وفيها يظهر([1]).

المبحث الثاني:-ما تلاقيه الوجوه من اثر العذاب

المطلب الأول:الحشر على الوجوه

توعد الباري عز وجل المعرضين عن دينه بشتى أنواع العقوبات ترهيبا لهم من اجل الرجوع والإنابة إليه سبحانه وتعالى ، وهذا من رحمته وعدله سبحانه ،ولكن المعارضين المعاندين لم يؤثر فيهم داعي الله فيحصل لهم عذاب الخزي والهون، وسوف يتبين من خلال البحث كيف يحشر هؤلاء على وجوههم بأبشع صورة .

أولا:- قَالَ تَعَالَى:﴿ وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا ۖ مَّأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ ۖ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَاهُمْ سَعِيرًا ﴾([2]).

الْحَشْرُ: جَمْعُ النَّاسِ مِنْ مَوَاضِعَ مُتَفَرِّقَةٍ إِلَى مَكَانٍ وَاحِدٍ. وَلَمَّا كَانَ ذَلِكَ يَسْتَدْعِي مَشْيَهُمْ عُدِّيَ الْحَشْرُ بِحَرْفِ (عَلَى) لِتَضْمِينِهِ مَعْنَى (يَمْشُونَ). وَقَدْ فَهِمَ النَّاسُ ذَلِكَ مِنَ الْآيَةِ فسألوا النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن ذلك، إذ ورد في الحديث عَنْ قَتَادَةَ قال :(حَدَّثَنَا أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَجُلًا قَالَ يَا نَبِيَّ اللَّهِ يُحْشَرُ الْكَافِرُ عَلَى وَجْهِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ قَالَ أَلَيْسَ الَّذِي أَمْشَاهُ عَلَى الرِّجْلَيْنِ فِي الدُّنْيَا قَادِرًا عَلَى أَنْ يُمْشِيَهُ عَلَى وَجْهِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ قَالَ قَتَادَةُ بَلَى وَعِزَّةِ رَبِّنَا)([3])،(وَالْمَقْصُودُ مِنْ ذَلِكَ الْجَمْعُ بَيْنَ التَّشْوِيهِ وَالتَّعْذِيبِ لِأَنَّ الْوَجْهَ أَرَقُّ تَحَمُّلًا لِصَلَابَةِ الْأَرْضِ مِنَ الرِّجْلِ)([4]).

وَهَذَا جَزَاءٌ مُنَاسِبٌ لِلْجُرْمِ، لِأَنَّهُمْ رَوَّجُوا الضَّلَالَةَ فِي صُورَةِ الْحَقِّ وَوَسَمُوا الْحَقَّ بِسِمَاتِ الضَّلَالِ فَكَانَ جَزَاؤُهُمْ أَنْ حُوِّلَتْ وُجُوهُهُمْ أَعْضَاءَ مَشْيٍ عِوَضًا عَنِ الْأَرْجُلِ. فهم يسحبون على وجوههم حقيقة كما يفعل في الدنيا بمن يبالغ في اهانته وتعذيبه،فهؤلاء ارواحهم شديدة التعلق بالدنيا ولذاتها وليس لهم تعلق بعالم الأسرار وحضرة الإله سبحانه لا جرم كان حشرهم على وجوههم([5]).

١- ينظر الجامع لأحكام القرآن(١٦٥/١١)؛ تفسير القرآن الجليل(٦٨/٣)؛ التفسير المنير(٢٨٦/١٦).

٢- الإسراء/٩٧.

٣- صحيح البخاري، كتاب تفسير القرآن، باب قوله (الذين يحشرون على وجوههم) ، رقم الحديث(٤٣٣٨)،(٤١٨/١٤).

٤- التحرير والتنوير(٢١٧/١٥)

٥- ينظر التفسير الكبير(٦١/٢١).

Issn : 2071- 6028

وقد ورد في السنة ما يثبت ذلك، إذ قال صلى الله عليه وسلم(إِنَّكُمْ مَحْشُورُونَ رِجَالًا وَرُكْبَانًا وَتُجَرُّونَ عَلَى وُجُوهِكُمْ)([1]). كما ورد عنه صلى الله عليه وسلم(أَنَّ النَّاسَ يُحْشَرُونَ عَلَى ثَلَاثَةِ أَفْوَاجٍ: فَوْجٌ رَاكِبِينَ طَاعِمِينَ كَاسِينَ، وَفَوْجٌ يَمْشُونَ وَيَسْعَوْنَ، وَفَوْجٌ تَسْحَبُهُمُ الْمَلَائِكَةُ عَلَى وُجُوهِهِمْ وَتَحْشُرُهُمْ إِلَى النَّارِ)([2]).

ثُمَّ كَانُوا عُمْياً وَبُكْماً جَزَاءَ أَقْوَالِهِمُ الْبَاطِلَةِ عَلَى الرَّسُولِ وَعَلَى الْقُرْآنِ، وصُمًّا جَزَاءَ امْتِنَاعِهِمْ مِنْ سَمَاعِ الْحَقِّ، قَالَ تَعَالَى عَنْهُمْ:﴿ وَقَالُواْ قُلُوبُنَا فِيٓ أَكِنَّةٖ مِّمَّا تَدۡعُونَآ إِلَيۡهِ وَفِيٓ ءَاذَانِنَا وَقۡرٞ وَمِنۢ بَيۡنِنَا وَبَيۡنِكَ حِجَابٞ فَٱعۡمَلۡ إِنَّنَا عَٰمِلُونَ ﴾([3]) وَقَالَ عَنْهُمْ:﴿ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرۡتَنِيٓ أَعۡمَىٰ وَقَدۡ كُنتُ بَصِيرٗا ١٢٥ قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتۡكَ ءَايَٰتُنَا فَنَسِيتَهَاۖ وَكَذَٰلِكَ ٱلۡيَوۡمَ تُنسَىٰ ﴾([4])، وقال عنهم﴿ وَمَن كَانَ فِي هَٰذِهِۦٓ أَعۡمَىٰ فَهُوَ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ أَعۡمَىٰ وَأَضَلُّ سَبِيلٗا ﴾([5])،أَيْ مَنْ كَانَ أَعْمَى عَنِ الْحَقِّ فَهُوَ فِي الْحَشْرِ يَكُونُ مَحْرُومًا مِنْ مُتْعَةِ النَّظَرِ. وَهَذِهِ حَالَتُهُمْ عِنْدَ الْحَشْرِ، محرومين من جوارحهم جزاء ما عطلوا هذه الجوارح في الدنيا عن إدراك دلائل الهدى والصلاح مصداقا لقوله تَعَالَى:﴿ وَمَنۡ أَعۡرَضَ عَن ذِكۡرِي فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةٗ ضَنكٗا وَنَحۡشُرُهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ أَعۡمَىٰ ﴾([6]).

وكما كانوا في الحياة الدنيا لا يبصرون ولا ينطقون بالحق ويصامون عن سماعه فهم في الآخرة كذلك لا يبصرون ما يقر أعينهم ولا يسمعون ما يلذ أسماعهم ولا ينطقون بما يقبل منهم فهم في خسران مبين([7]).

وقد وردت أقوال كثيرة في تفسير قوله تعالى(عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا) يمكن جمعها في رواية ابن عباس رضي الله عنه إذ قيل إن واحدا قال لابن عباس: أليس أنه تعالى قَالَ﴿ وَرَءَا ٱلۡمُجۡرِمُونَ ٱلنَّارَ فَظَنُّوٓاْ أَنَّهُم مُّوَاقِعُوهَا وَلَمۡ يَجِدُواْ عَنۡهَا مَصۡرِفٗا ﴾([8])، وقال في آية أخرى قَالَ تَعَالَى:﴿ إِذَا رَأَتۡهُم مِّن مَّكَانِۭ بَعِيدٖ

١- سنن الترمذي،كتاب صفة القيامة ،باب ما جاء في شان الحشر،رقم الحديث(٢٣٤٨) ، (٢٥٦/٩)؛ مسند أحمد(٢٤٦/٣٣)؛ المعجم الكبير،الطبراني(٣٤٣/١٤)، قال أبو عيسى الترمذي:هذا حديث حسن صحيح.

٢- المستدرك على الصحيحين،كتاب التفسير، باب تفسير سورة بني إسرائيل ،رقم الحديث(٣٣٤٦)،(٣٣/٨). قال الحاكم هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه.

٣- فصلت/٥

٤- طه/٢٥-٢٦

٥- الإسراء/٧٢

٦- طه/١٢٤.

٧- ينظر محاسن التأويل(٣٠٢/١٠) ؛ في ظلال القرآن(٢٢٥١/٤).

٨- الكهف/٥٣.

Issn : 2071- 6028

سَمِعُوا۟ لَهَا تَغَيُّظًا وَزَفِيرًا ﴿١٢﴾ وَإِذَآ أُلْقُوا۟ مِنْهَا مَكَانًا ضَيِّقًا مُّقَرَّنِينَ دَعَوْا۟ هُنَالِكَ ثُبُورًا ﴾(١) ، وقَالَ ﴿يَوْمَ تَأْتِى كُلُّ نَفْسٍ تُجَـٰدِلُ عَن نَّفْسِهَا ﴾(٢).

فثبت بهذه الآيات أنهم يرون ويسمعون ويتكلمون فكيف قال هاهنا (عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا) فأجابه ابن عباس رضي الله عنهما وتلامذته عنه من وجوه(٣).

الأول:- قال لا يرون شيئا يسرهم لا يسمعون شيئا يسرهم ولا ينطقن بحجة.

الثاني:-قال في زاوية أخرى عميا عن النظر إلى ما جعله الله لأوليائه ،بكما عن مخاطبة الله مخاطبة الملائكة المقربين ،صما عن ثناء الله على أوليائه.

الثالث:- قال يكونون رائين سامعين وناطقين في الموقف بدليل قراءة الكتب إذ قال عن حالهم﴿ فَيَقُولُ يَـٰلَيْتَنِى لَمْ أُوتَ كِتَـٰبِيَهْ ﴾(٤)،وقد سمعوا إلزام الحجة عليهم، إلا أنهم إذا أخذوا يذهبون من الموقف إلى النار جعلهم عميا وبكما وصما.

والحق ان هذه الآراء تحتاج إلى توفيق بينها للخروج بالرأي الراجح فالآراء المطروحة آراء علماء ومفسرين لهم باع في التفسير كان همهم إيصال هذا الكتاب العظيم إلى الأذهان بأيسر طريق ، فجزاهم الله عن الإسلام والمسلمين خيرا، والذي يظهر لي من خلال دراستي لهذه الآيات الكريمات والوقوف على كثير من التفاسير المعتمدة لدى طلبة العلم،هو إن الرأي الأول من أكثر الآراء دقة في التعبير عن الآية ،لان في الرأي الثاني والثالث نظرا والله اعلم.

أما الرأي الثاني فأن ما جعله الله لأوليائه من النعم في الجنة فيه إيلام وحسرة على الكافرين وهو أبلغ في العذاب ، والأولى أن يراه الكافر حتى يتألم أكثر ويتحسر أكثر، والأمر الأخر هو أن الميت عندما يدخل إلى القبر إذا كان من أهل النار يرى ما أعد الله للمحسنين فيقال له: هذا مكانك لو انك أطعت الله ثم يريه مقعده من النار فيتألم ويتحسر على ذلك، إذ ورد في الحديث الصحيح قوله صلى الله عليه وسلم:(إِنَّ أَحَدَكُمْ إِذَا مَاتَ عُرِضَ عَلَيْهِ مَقْعَدُهُ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ إِنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ فَمِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ وَإِنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ النَّارِ فَمِنْ أَهْلِ النَّارِ يُقَالُ هَذَا مَقْعَدُكَ حَتَّى يَبْعَثَكَ اللَّهُ إِلَيْهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ)(٥).

١- الفرقان/١٢-١٣.

٢- النحل/١١١.

٣- ينظر التفسير الكبير (٢١/٦١-٦٢)؛ محاسن التأويل(١٠/٣٠٢).

٤- الحاقة/٢٥.

٥- صحيح مسلم، كتاب صفة نعيم الجنة وأهلها، باب عرض مقعد الميت،رقم الحديث(٥١١٠)،(١٤/٢٦).

Issn : 2071- 6028

أما مخاطبة الله والملائكة فهذا حاصل بدليل قولهم وهم في النار ﴿ وَنَادَوْاْ يَٰمَٰلِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُم مَّٰكِثُونَ ﴾(١).

أما قوله صم عن ثناء الله على أوليائه ففيه نظر أيضا لأن الله اخبر عن حال الدعاة إليه والذي أتخذهم أهل الباطل سخريا بأنهم هم الفائزون إذقَالَ تَعَالَىٰ:﴿ إِنِّي جَزَيْتُهُمُ ٱلْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوٓاْ أَنَّهُمْ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ﴾(٢).

أما الرأي الثالث:وهو كونهم رائين وسامعين وناطقين في الموقف فإذا ذهبوا إلى النار جعلهم الله عميا وصما وبكما ففيه نظر أيضا لأنه قد ثبت أنهم في النار يتكلمون ، إذ قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَنَادَىٰٓ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ أَنْ أَفِيضُواْ عَلَيْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾(٣).

كما ثبت بأنهم يسمعون بدليل قولهتَعَالَىٰ:﴿ وَنَادَىٰٓ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ أَصْحَٰبَ ٱلنَّارِ أَن قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا فَهَلْ وَجَدتُّم مَّا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا قَالُواْ نَعَمْ ﴾(٤).فهل بعد كتاب الله دليل!

ثانيا–قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ ٱلَّذِينَ يُحْشَرُونَ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ أُوْلَٰٓئِكَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضَلُّ سَبِيلًا ﴾(٥).

تعد هذه الآية وصفا آخر لسوء حال الكفار في معادهم يوم القيامة وحشرهم إلى جهنم في أسوأ الحالات وأقبح الصفات ألا وهو الحشر على الوجوه ومثله قولهتَعَالَىٰ:﴿ يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِي ٱلنَّارِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ ذُوقُواْ مَسَّ سَقَرَ ﴾(٦)،ويحتمل أن يكون يمس وجوههم وسائر ما في جهتها من صدورهم بطونهم ونحوها ،فينكسون على رؤوسهم، وجعل وجوههم إلى ما يلي الأرض، وارتفاع أقدامهم وسائر ابدأنهم فيسحبون ويجرون إلى النار على وجوههم وهؤلاء هم شر منزلا ومصيرا فيكبون على وجوههم في النار ، إذ قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَكُبَّتْ وُجُوهُهُمْ فِي ٱلنَّارِ هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾(٧) .

١– الزخرف/٧٧.
٢– المؤمنون/١١١.
٣– الأعراف/٥٠.
٤– الأعراف/٤٤.
٥– الفرقان/٣٤.
٦– القمر/٤٣.
٧– النمل/٩٠.

Issn : 2071- 6028

وَالْكَبُّ: (هو جَعْلُ ظَاهِرِ الشَّيْءِ إِلَى الْأَرْضِ. وَعُدِّيَ الْكَبُّ فِي هَذِهِ الْآيَةِ إِلَى الْوُجُوهِ دُونَ بَقِيَّةِ الْجَسَدِ وَإِنْ كَانَ الْكَبُّ لِجَمِيعِ الْجِسْمِ لِأَنَّ الْوُجُوهَ أَوَّلُ مَا يُقْلَبُ إِلَى الْأَرْضِ عِنْدَ الْكَبِّ) ([1]).فالجزاء من جنس العمل لأن هؤلاء كانوا يدعون إلى السجود في الحياة الدنيا فلم يسجدوا لله لأن في السجود ذلا لله ،إذ قَالَصلى الله عليه وسلم(أَقْرَبُ مَا يَكُونُ الْعَبْدُ مِنْ رَبِّهِ وَهُوَ سَاجِدٌ فَأَكْثِرُوا الدُّعَاءَ)([2])، ولم يتبعوا رسل الله، فكان جزاءهم أنهم يسحبون في النار على وجوههم إظهارا لهوانهم وذلهم([3])، فتقلب وجوههم في النار إذقَالَ تَعَالَى:﴿ يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِي ٱلنَّارِ يَقُولُونَ يَٰلَيْتَنَآ أَطَعْنَا ٱللَّهَ وَأَطَعْنَا ٱلرَّسُولَا۠ ﴾([4])،

وَالتَّقْلِيبُ: هو(شِدَّةُ الْقَلْبِ. وَالْقَلْبُ: تَغْيِيرُ وَضَعِ الشَّيْءِ على جِهَةِ غَيْرِ الْجِهَةِ الَّتِي كَانَ عَلَيْهَا ،وَالْمَعْنَى: يَوْمَ تُقَلَّبُ مَلَائِكَةُ الْعَذَابِ وُجُوهَهُمْ فِي النَّارِ بِغَيْرِ اخْتِيَارٍ مِنْهُمْ، أَوْ يَجْعَلُ اللَّهُ ذَلِكَ التَّقَلُّبَ فِي وُجُوهِهِمْ لِتَنَالَ النَّارُ جَمِيعَ الْوَجْهِ كَمَا يُقَلَّبُ الشِّوَاءُ عَلَى الْمَشْوَى لِيَنْضَجَ عَلَى سَوَاءٍ، وَلَوْ كَانَ لَفْحُ النَّارِ مُقْتَصِرًا عَلَى أَحَدِ جَانِبَيِ الْوَجْهِ لَكَانَ لِلْجَانِبِ الْآخَرِ بَعْضُ الرَّاحَةِ.

وَتَخْصِيصُ الْوُجُوهِ بِالذِّكْرِ مِنْ بَيْنِ سَائِرِ الْأَعْضَاءِ لِأَنَّ حَرَّ النَّارِ يُؤْذِي الْوُجُوهَ أَشَدَّ مِمَّا يُؤْذِي بَقِيَّةَ الْجِلْدِ لِأَنَّ الْوُجُوهَ مَقَرُّ الْحَوَاسِّ الرَّقِيقَةِ: الْعُيُونِ وَالْأَفْوَاهِ وَالْآذَانِ وَالْمَنَافِسِ)([5]).

والنار من فوقهم ومن تحتهم وتحيط بهم من كل جانب، فالتغيير على هذا النحو يراد به تصوير الحركة وتجسيمها والحرص على أن تصل إلى كل صفحة من صفحات وجوههم، ويعد هذا زيادة في النكال، وهذا التقليب تغييرا لألوانهم ، فتسود مرة وتخضر أخرى ، وتتغير حالهم من حال إلى حال فتتوارد عليها الهيئات القبيحة من شدة الهول ، قال تَعَالَى:﴿ لَهُم مِّن جَهَنَّمَ مِهَادٌ وَمِن فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾([6]) .

وهم على هذه الحال يتمنون أنهم لو أطاعوا الله وأطاعوا الرسول في الحياة الدنيا ، ولن ينفعهم هذا التمني لقوله تَعَالَى:﴿ وَيَوْمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَٰلَيْتَنِى ٱتَّخَذْتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلًا ﴾([7]) .

١- التحرير والتنوير(٢٠/٥٣).

٢- صحيح مسلم، كتاب الصلاة، باب ما يقال في الركوع السجود،رقم الحديث(٧٤٤)،(٣/٢٩).

٣- ينظر روح المعاني(٢١/٦١).

٤- الأحزاب/٦٦.

٥- التحرير والتنوير(٢٢/١١٦).

٦- الأعراف/٤١.

٧- الفرقان/٢٧.

Issn : 2071- 6028

وعندما لم يحصل لهم مرادهم من هذا التمني يسألون الله مضاعفة العذاب لمن أضلهم في الحياة الدنيا ([1]).

ويأتي الجواب من قبل الباري عز وجل﴿ قَالَ لِكُلٍّ ضِعْفٌ وَلَٰكِن لَّا تَعْلَمُونَ ﴾([2]).وما حصل لهم ذلك إلا لكفرهم بالله وآياته وشرعه.

المطلب الثاني: لفح الوجوه وكلوحها

هذا نوع من أنواع العذاب المخزي الذي يصيب أهل الشرك فلا يستطيعون ان يصدوا ذلك العذاب فيغشى وجوههم وجميع أجسادهم فقد كانوا يستعجلون العذاب غير متيقنين منه ،ولما يحل بهم ويصيبهم لفح النار وحرها يتمنوا أن لوحدوا الله وسيتبين ذلك من خلال البحث.

أولا:- قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ تَلْفَحُ وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ وَهُمْ فِيهَا كَٰلِحُونَ ﴾([3]).

بعد وزن الأعمال يصبح الناس فريقين:الأول قد ثقلت موازينه فأصبح من المفلحين،والثاني قد خفت موازينه فأصبح من الخاسرين تحرق النار وجوههم، وتأكل لحومهم وجلودهم وتغشاهم من كل جانب قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ سَرَابِيلُهُم مِّن قَطِرَانٍ وَتَغْشَىٰ وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ ﴾([4])، ثم يستغيثون بشيء يخفف عنهم العذاب فيغاثون بماء يقطع الأمعاء من شدة حرارته،قال تعالى﴿ وَإِن يَسْتَغِيثُوا۟ يُغَاثُوا۟ بِمَآءٍ كَٱلْمُهْلِ يَشْوِى ٱلْوُجُوهَ ۚ بِئْسَ ٱلشَّرَابُ وَسَآءَتْ مُرْتَفَقًا ﴾([5])، فإذا قدم لهم ليشربوا أنشوى الوجه لحرارته إذ ورد في الحديث عن النبي عليه الصلاة والسلام (هو كعَكَر الزيت فإذا قُرب إليه سقطت فروةُ وجهه)([6]).فقد عبست وجوههم، وقلصت شفاههم، من شدة ما هم فيه، وعظيم ما يلقونه.إذ ورد

١- ينظر التفسير الكبير(٢٣٣/٢٥)؛ روح المعاني(٣٤/٢٢)؛ في ظلال القرآن(٢٨٨٣/٥).

٢- الأعراف/٣٨.

٣- المؤمنون/١٠٤.

٤- إبراهيم/٥٠.

٥- الكهف/٢٩

٦- المستدرك على الصحيحين،كتاب تفسير القرآن،باب تفسير سورة الحاقة، رقم الحديث(٣٨٠٩)،(٤٨/٩)،قال هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه.

Issn : 2071- 6028

في الحديث قولهصلى الله عليه وسلم : (﴿ تَلْفَحُ وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ وَهُمْ فِيهَا كَٰلِحُونَ ﴾ قال : تشويه النار فتقلص شفته العليا حتى تبلغ وسط رأسه ، وتسترخي شفته السفلى حتى تضرب سرته)(١).

فهؤلاء لا يستطيعون ان يدفعوا عنهم شيء من ذلك العذاب، قال سبحانه:﴿ لَوْ يَعْلَمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ حِينَ لَا يَكُفُّونَ عَن وُجُوهِهِمُ ٱلنَّارَ وَلَا عَن ظُهُورِهِمْ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴾(٢).عذاب واقع بهم لا محالة، لما استعجلوا هذا العذاب الشديد(٣). ولو علموا أحوال عذاب النار التي تحيط بهم من جميع الجهات، ولا يجدون ناصرا لهم ينصرهم ويمنعهم من العذاب وينقذهم منه لما أصروا في البقاء على كفرهم(٤).

ثم بين إن بعض أعضائهم أيضا لا يدفع عن البعض الآخر إذ قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ أَفَمَن يَتَّقِى بِوَجْهِهِۦ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ﴾(٥) ، بخلاف عذاب الدنيا فان الإنسان يدفع عن وجهه الضربة اتقاء بيده ،فإذا قصد احد وجهه أو رأسه تجده يجعل يده أو يطأطئ رأسه كي لا يصيب وجهه(٦)، ثم ان العذاب لم يكن للوجه فقط بل أضاف الباري عز وجل الظهور لان مس العذاب لها أعظم موقعا، ولكثرة ما يستعمل ذكرهما في دفع المضرة عن النفس ،فيحاولون في حركة يرسمها التعبير القرآني من وراء السطور أن يكفوا النار عن وجوههم وعن ظهورهم ولكنهم لا يستطيعون وكأنما تلقفهم النار من كل جانب فلا هم يستطيعون ردها ولا هم يؤخرون عنها ولا هم يمهلون إلى اجل قريب،ثم لما بين شدة هذا العذاب بين ان وقت مجيئه غير معلوم لهم بل تأتيهم بغتة وهم لها غير محتسبين ولا لأمرها مستعدينفهي محيطة بهم من كل جانب. فلا مفر من ذلك إلا برحمة الله ، فقد ورد في الحديث الصحيح إن النبي صلى الله عليه وسلم قال:(مَا مِنْكُمْ أَحَدٌ إِلَّا سَيُكَلِّمُهُ رَبُّهُ لَيْسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ تُرْجُمَانٌ فَيَنْظُرُ أَيْمَنَ مِنْهُ فَلَا يَرَى إِلَّا مَا قَدَّمَ مِنْ عَمَلِهِ وَيَنْظُرُ أَشْأَمَ

١–المستدرك على الصحيحين،كتاب تسير القرآن،باب تفسير سورة المؤمنون،رقم الحديث(٣٤٤٩)،(١٤٢/٨).قال هذا حديث صحيح من اسناد المصريين ولم يخرجاه.

٢– الانبياء/٣٩.

٣– ينظر جامع البيان(٤٤٥/١٨) ؛ التفسير المنير(٥٧/١٧).

٤– ينظر تفسير القرآن العظيم(٣٤٣/٥).

٥– الزمر/٢٤.

٦– ينظر الجامع لأحكام القرآن(١٦٠/١٤)؛ تفسير القرآن العظيم(٣٩٨/٣)؛ روح المعاني(٣٤/١٢)؛ في ظلال القرآن(٢٨٨٣/٥).

Issn : 2071- 6028

مِنْهُ فَلَا يَرَى إِلَّا مَا قَدَّمَ وَيَنْظُرُ بَيْنَ يَدَيْهِ فَلَا يَرَى إِلَّا النَّارَ تِلْقَاءَ وَجْهِهِ فَاتَّقُوا النَّارَ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ)([1]).

وفي هذا دلالة على شمولية العذاب للجسد وان الإنسان لا يستطيع أن يدفع عن نفسه العذاب، أي أن القوة البدنية تسلب في ذلك اليوم فلا يستطيع الإنسان من تحريك شيء فهو كالخشب المسندة([2]).

المطلب الثالث:(التعب والنصب)

يعد يوم القيامة من الأمور التي اخبر الباري عز وجل عنها نبيه محمد صلى الله عليه وسلم فسماها غاشية: لأنها تغشى الخلائق بأهوالها وإفزاعها، ثم ذكر أحوال الناس فيه وانقسامهم إلى فريقين: أشقياء وسعداء، وبدأ بوصف الأشقياء لأن مبني السورة على التخويف، كما ينبئ عنه لفظ الغاشية، فلما عرفه الله تفصيل تلك الأحوال بينها للناس حتى يكونوا مستعدين لذلك اليوم،كم سيتبين من خلال البحث.

أولا: قَالَ تَعَالَى:﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَاشِعَةٌ ۝٢ عَامِلَةٌ نَّاصِبَةٌ ﴾([3]).

جاءت الوجوه هنا كناية عن أصحابها لان حالة الوجوه تنبئ عن حالة أصحابها،إذ الوجه عنوان عما يجده صاحبه من نعيم أو شقوة، أما(خاشِعَةٌ:فقد يُطْلَقُ الْخُشُوعُ عَلَى الْمَذَلَّةِ ،قَالَ تَعَالَى:﴿ وَتَرَىٰهُمْ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا خَٰشِعِينَ مِنَ ٱلذُّلِّ يَنظُرُونَ مِن طَرْفٍ خَفِيٍّ ۗ وَقَالَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّ ٱلْخَٰسِرِينَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ أَلَآ إِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ فِى عَذَابٍ مُّقِيمٍ ﴾([4]) وَقَالَ:﴿ خَٰشِعَةً أَبْصَٰرُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ ۚ ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمُ ٱلَّذِى كَانُوا۟ يُوعَدُونَ ﴾([5])، وَاما الْعَامِلَةُ:فهي الْمُكَلَّفَةُ الْعَمَلَ مِنَ الْمَشَاقِّ يَوْمَئِذٍ. واما الناصِبَةٌ: فهي مِنَ النَّصَبِ وَهُوَ التَّعَبُ.وَأُوثِرَ وَصْفُ خاشِعَةٌ وعامِلَةٌ وناصِبَةٌ تَعْرِيضًا بِأَهْلِ الشَّقَاءِ بِتَذْكِيرِهِمْ بِأَنَّهُمْ تَرَكُوا الْخُشُوعَ لِلَّهِ وَالْعَمَلَ بِمَا أَمَرَ بِهِ وَالنَّصَبَ فِي الْقِيام بِطَاعَتِهِ، فجزاؤهم خُشُوعٌ مذلّة، وَعَمَلُ مَشَقَّةٍ، وَنَصَبُ إِرْهَاقٍ)([6]).

١- صحيح البخاري،كتاب التوحيد،باب كلام الرب عز وجل يوم القيامة مع الأنبياء، رقم الحديث(٦٩٥٨)،(٣٢/٢٣)

٢- ينظر التفسير الكبير(١٥٢/١٩)؛ الجامع لأحكام القرآن(١٦٥/١١)؛ البحر المحيط(١٤٦/٥)؛ الدر المنثور (٦٠١/٥) ؛المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز(٢٧١/٨)؛ في ظلال القرآن(٣٠١/٢ ٢)

٣- الغاشية/٢-٣.

٤- الشورى/٤٥.

٥- المعارج/٤٤.

٦- التحرير والتنوير(٢٩٦/٣٠-٢٩٧).

Issn : 2071- 6028

وهذه الوجوه؛ عملت ونصبت فلم تحمد العمل ولم ترض العاقبة ، ولم تجد إلا الوبال والخسارة ، فزادت مضضاً وإرهاقاً وتعباً ، فهي:(عَامِلَةٌ نَّاصِبَةٌ) عملت لغيرالله ،ونصبت في غير سبيله.عملت لنفسها ولأولادها. وتعبت لدنياها ولأطماعها . ثم وجدت عاقبة العمل والكد، وجدته في الدنيا شقوة لغير زاد .ووجدته في الآخرة تعبا وشقاء ،وهي تواجه النهاية مواجهة الذليل المرهق المتعس الخائب الرجاء([1]).

ثانيا:- وقت حصول هذه الصفات(خَاشِعَةٌ عَامِلَةٌ نَّاصِبَةٌ) للوجوه.

أختلف المفسرون في وقت حصول هذه الصفات على ثلاثة أقوال.

القول الأول:- إن هذه الصفات حاصلة في الآخرة وهو أن الكفار يكونون يوم القيامة خاشعين:أي ذليلين وذلك لأنها في الدنيا تكبرت عن عبادة الله ، وعاملين لأنها تعمل في النار عملا تتعب فيه وهو جرها السلاسل والأغلال الثقيلة بدليل قولهتَعَالَىٰ:﴿ ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَاسْلُكُوهُ ﴾([2]) ، وخوضها في النار كما تخوض الإبل في الوحل والتقحم في حر جهنم والوقوف حفاة عراة جياعا عطشا في العرصات قبل دخول جهنم في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة وناصبين لأنهم دائما يكونون في ذلك العمل ،وهذه الصفات كما يجب أن تكون حاصلة في الحياة الدنيا لأجله تعالى ،فلما لم يكون الحال كذلك سلطها الله عليهم يوم القيامة على سبيل العقاب([3]).

القول الثاني:- إن هذه الصفات حاصلة في الحياة الدنيا ،فقد قيل إنهم أصحاب الصوامع من اليهود والنصارى وعبدت الأوثان والمجوس،والمعنى أنها خشعت لله وعملت ونصبت في أعمالها من الصوم والتهجد الواجب وذلك لأنهم لما اعتقدوا في الله ما لا يليق به فكأنهم أطاعوا ذاتا" موصوفة بالصفات التي تخيلوها،فهم في الحقيقة ما عبدوا الله وإنما عبدوا ذلك المتخيل الذي لا وجود له،فلا جرم أن لا تنفعهم تلك العبادة أصلا([4]).

القول الثالث:-وهو أن بعض هذه الصفات حاصلة في الآخرة وبعضها يكون في الدنيا ، وفي هذا القول رأيان([5]).

١- في ظلال القرآن(٢٦/٨).

٢- الحاقة/٣٢.

٣- ينظر جامع البيان(٣٨٢/٢٤)؛ روح المعاني(٣٨٤/٢٢).

٤- ينظر الجامع لإحكام القرآن(٢٧/٢٠)؛ الجواهر الحسان(٢٤٤/٤).

٥- ينظر التفسير الكبير(١٥٢/٣-١٥٣).

Issn : 2071- 6028

الرأي الأول :- إنها خاشعة في الآخرة مع انه كانت في الدنيا عاملة ناصبة،والمعنى أنها لم تنتفع بعملها ونصبها في الدنيا ولا يمتنع وصفهم ببعض أوصاف الآخرة .

الرأي الثاني:- إنها خاشعة عاملة في الدنيا ولكنها ناصبة في الآخرة فخشوعها في الدنيا هو خوفها الداعي لها إلى الإعراض عن لذائذ الدنيا وطيباتها ، وعملها هو صومها وصلاتها ، ونصبها في الآخرة هو مقاساة العذاب،قال تَعَالَىٰ:﴿ وَلَوْ أَنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُۥ مَعَهُۥ لَٱفْتَدَوْا۟ بِهِۦ مِن سُوٓءِ ٱلْعَذَابِ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ وَبَدَا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا۟ يَحْتَسِبُونَ ﴾(١).

والحق إن كل هذه الأقوال السابقة ممكنة في هذه الصفات،والذي يبدو لي أن القول الأول أرجح من غيره لان هذه الصفات ذكرت بعد ذكر الغاشية التي أجمع الجمهور على أنها يوم القيامة ، فيكون التعب لأهل النار من العصاة والكفار ، وتكون السعادة والراحة لأهل التقوى والإيمان بدليل ما قاله الباري عز وجل بعد أن ذكر حال المتقين ودخولهم الجنة فقال تَعَالَىٰ:﴿ لَا يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ وَمَا هُم مِّنْهَا بِمُخْرَجِينَ ﴾(٢).

فدل ذلك على أن هذا الذل وهذا التعب حاصل في الآخرة لأهل الذنوب والمعاصي الذين لم يلبوا داعي الله واستمروا على كفرهم وعنادهم وماتوا على ذلك.

الخاتمة

من خلال هذه الجولة المباركة في رحاب تفسير آيات كتاب الله العزيز وفي ضمن هذه الفترة الوجيزة من عمر هذا البحث توصلت إلى النتائج التالية:

١- إن التفسير الموضوعي يماشي ثقافة هذا العصر ومعطياته الفكرية،ويلاءم أحوال أهل العصر من اجل إصلاحهم، لذلك علينا أن نتجه إلى دراسة القرآن الكريم كله دراسة موضوعية وان نعرضه عرضا يرضي الله تعالى حتى نسهم في حل تعقيدات الحياة ومشاكلها في هذا العصر.

٢- الآيات التي تصف وجوه الكافرين يوم القيامة فيها تهذيب لنفوس الناس الذين يرجون لقاء الله ويخافون عقابه، وفيها دعوة لأن نربي أنفسنا تربية إيمانية ونسهم في حل تعقيدات هذه الحياة.

٣- إن الآثار التي تتحصل للوجوه بعد الموت منها ما هو من اثر الذنوب في الحياة الدنيا ومنها ما هو نتيجة للعذاب الذي تلاقيه تلك الوجوه في نار جهنم.

٤- يعد الوجه اشرف أعضاء الإنسان لذلك استخدم في وصف النعيم والعذاب الذي يصيب الإنسان يوم القيامة.

٥. القرآن الكريم دعا أهل الكتاب إلى الأيمان ببعثة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وان مخافتهم له تجعلهم سود الوجوه أمام الله يوم القيامة.

١- الزمر/٤٧.

٢- الحجر/٤٨.

Issn : 2071- 6028

٦- يحشر المخالفون بأقبح صورة وهم أذلاء منكسو الرؤوس ولا يظهر عليهم أي شيء من اثر النعيم الذي أصابهم في الحياة الدنيا.

٧- إن الذين اعرضوا عن دعوة الحق يصيبهم الطمس الذي هو إخفاء المعالم الحقيقية للإنسان بالقلب أو التغيير.

٨- في الآيات دليل على الذلة التي يلاقيها أصحاب الذنوب والمعاصي وهم يرون أعمالهم حسرات عليهم في نار جهنم.

٩- تعد الآيات التي تصف وجوه المعاندين سببا في دخول كثير من أهل الكتاب إلى الإسلام٠

١٠- في الآيات دليل على عجز الإنسان عن صد العذاب عن نفسه يوم القيامة .

١١- في الآيات دعوة إلى الناس أن يكونوا خاشعين ومستسلمين لله ومتعبي أنفسهم في خدمة دين الله حتى ينالوا الأمان يوم القيامة .

١٢- في الآيات التي تصف حال الكافرين يوم القيامة ردا قوي على من ينكر العذاب بعد الموت .

تلك أهم النتائج التي خرجت بها من خلال جولتي المباركة في هذا البحث وإذا كان من كلمة أخيرة فهي إني أرجو من الله أن يكتب لي اجر هذا العمل، واسأله سبحانه أن ينفع به انه ولي ذلك والقادر عليه وآخر دعوانا إن الحمد لله رب العالمين ولا عدوان إلا على الظالمين المارقين عن تعاليم سيد المرسلين محمد صلى الله عليه وسلم.

المصادر والمراجع

القرآن الكريم

١- الاستقامة،احمد بن عبد الحليم بن تيمية(ت ٧٢٨هـ)،تحقيق د محمد رشاد سالم،ط١ جامعة الإمام محمد بن سعود:المدينة المنورة ١٤٠٣ هـ.

٢- إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، أبو السعود ألعمادي(ت٩٨٢هـ)،ط١دار الكتب العلمية:بيروت١٩٩٩م.

٣- أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، محمد الأمين الشنقيطي(ت ١٣٩٣هـ)،ط١ دار الفكر :بيروت١٤١٥هـ.

٤- البحر المحيط، محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان الأندلسي(ت٧٤٥ هـ)،ط٢ دار الفكر :بيروت ١٤٠٣ هـ.

٥- تاج العروس في جواهر القاموس، السيد محمد مرتضى الزبيدي،(ت١٢٠٥هـ)،دار صادر :بيروت،(د ت).

Issn : 2071- 6028

٦- التعريفات ،أبو الحسين علي بن محمد بن علي الجرجاني(ت٨١٦هـ)،ط٣ دار الكتب العلمية:بيروت ١٩٨٨م.
٧- تفسير الشعراوي، محمد متولي الشعراوي(١٤١٩هـ)، دار الكتب والمكتبات:القاهرة١٩٩١م.
٨- تفسير القرآن العظيم، عماد الدين أبو الفداء إسماعيل الدمشقي(ت٧٧٤ هـ)،ط١دار الفكر :بيروت ١٤١٤هـ.
٩- التفسير الكبير ومفاتيح الغيب،فخر الدين الرازي(ت٦٠٦هـ)،ط٣دار الفكر :بيروت١٩٨٥م.
١٠- التفسير المنير، د. وهبة الزحيلي،ط٢دار الفكر المعاصر :دمشق١٤١٨هـ.
١١- تهذيب اللغة،ابو منصور محمد بن احمد الازهري(ت٣٧٠هـ)،تحقيق محمد عوض مرعب، ط١ دار احياء التراث:بيروت٢٠٠١هـ.
١٢- التوقيف على مهمات التعاريف،محمد عبد الرءوف المناوي(ت ١٠٣١هـ)،ط١ ،دار الفكر :بيروت١٤١٠هـ.
١٣- جامع البيان في تأويل آي القرآن ، أبي جعفر محمد بن جرير الطبري(ت٣١٠هـ)،ط١ مؤسسة الرسالة ١٤٢٠ هـ.
١٤- الجامع لإحكام القرآن، محمد بن احمد الأنصاري القرطبي (ت٦٧١هـ)،ط١ دار الكتب العلمية ١٩٨٨م.
١٥- الجامع الصحيح سنن الترمذي، محمد بن عيسى أبو عيسى الترمذي(ت٢٧٩هـ)،تحقيق احمد شاكر (د ط) دار إحياء التراث:بيروت(د ت).
١٦- الجواهر الحسان في تفسير القرآن، أبو زيد عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف الثعالبي (ت ٨٧٥هـ)،ط٢،دار نحون:تونس(د ت).
١٧- الدر المنثور في التفسير بالمأثور ، عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي(ت ٩١١ هـ)(د ط) دار العقل:بيروت ١٩٣٩م.
١٨- روح المعاني في تفسير القرآن والسبع المثاني ، أبي الفضل شهاب الدين محمود الالوسي(ت١٢٧٠هـ) ،(د ط)دار الفكر :بيروت (د ت).
١٩- سلسلة المنهاج ، هاشم محمد علي، مكتبة دار البيان:الكويت ط١(١٩٩٠م).
٢٠- الصحاح (تاج اللغة وعلوم العربية) إسماعيل بن حماد الجوهري(ت٣٩٣هـ) ،تحقيق احمد عبد الغفور عطار (د ط)دار الحضارة :بيروت (د ت).
٢١- صحيح ابن ماجة(ت٢٧٣هـ)،محمد ناصر الدين الألباني(ت١٤٢٠هـ)،(د ط،ت).

Issn : 2071- 6028

٢٢- صحيح البخاري ،أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري(ت٢٥٦هـ) ،مراجعة:د.مصطفى ديب البغا،دار ابن كثير، اليمامة :بيروت ١٤٠٧.
٢٣- صحيح مسلم،الإمام أبو الحسين مسلم بن الحجاج النيسابوري(ت٢٦١هـ)،تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي،ط٢ دار الفكر :بيروت ١٩٧٨م.
٢٤- صفوة التفاسير ،محمد علي الصابوني(ت٦٨٠هـ)،ط٦، بيروت لبنان١٩٨٥م.
٢٥- العين ،أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن الفراهيدي البصري (ت ١٧٠هـ)،ط١ ،دار ومكتبة الهلال(د ت).
٢٦- فتح الباري ،احمد بن علي بن حجر العسقلاني(ت٨٥٢هـ)،(د ط)دار المعرفة:بيروت ١٣٧٩هـ.
٢٧-في ظلال القرآن،سيد قطب(ت١٣٧٨هـ)،ط٥ دار أحياء التراثالعربي:بيروت١٩٦٧م.
٢٨- القاموس المحيط، محمد بن يعقوب بن محمد بن إبراهيم بن عمر، أبو طاهر، مجد الدين الشيرازي الفيروز آبادي(ت٨١٧هـ).ط٢،مؤسسة الرسالة:القاهرة ١٩٨٦م.
٢٩- الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الاقاويل في وجوه التأويل ، جار الله الزمخشري(ت٥٣٨هـ) ، (د ط)دار المعرفة للطباعة والنشر :بيروت(د ت).
٣٠- لباب النقول في أسباب النزول،السيوطي(ت٩١١هـ)دار شوكت للطباعة والنشر : دمشق،د ت).
٣١- لسان العرب، أبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور الأنصاري(ت٧هـ)،ط١ دار صادر:بيروت (د ت).
٣٢ – محاسن التأويل، احمد جمال الدين القاسمي(ت١٣٣٢هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٦٠م.
٣٣- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، أبو محمد عبد الحق بن عطية الأندلسي(ت٥٢٢هـ) دار الكتب العلمية، بيروت (د ت).
٣٤- مسند الإمام احمد، الإمام احمد بن حنبل(ت٢٤١هـ) ط١، مؤسسة الرسالة:٢٠٠١م
٣٥-المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، احمد بن محمد بن علي الرافعي(ت٧٧٠هـ) ،ط ٤ المطبعة الأميرية:القاهرة ١٩٢١م.
٣٦-معالم التنزيل في تفسير القرآن العظيم،أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي(ت ٥١٠هـ)ط٤، دار طيبة للنشر والتوزيع١٤١٧هـ.

Issn : 2071- 6028

٣٧- المعجم الكبير ، الطبراني،تحقيق حمدي بن عبد المجيد،ط٢ مكتبة العلوم والحكم:الموصل ١٩٨٣م.
٣٨-المفردات في غريب القرآن، الحسين بن محمد بن المفضل المعروف بالراغب الأصفهاني(ت٥٠٢هـ) تحقيق محمد سيد كيلان(د ط) دار المعرفة:لبنان(د ت).
٣٩-المنجد في اللغة والإعلام:دار الشروق- بيروت ١٩٧٣م.

Issn : 2071- 6028